

# فطرات من تباريح الضنى

بقلم: الشيخ حسام عبد الرؤوف حفظه الله



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده،

هناك من السلوكيات السلبية والتناقضات في حياتنا ما لا يحصيها الإنسان عدًّا، تشمل كل نواحي حياتنا الدينية والسلوكية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية... إلخ. ولما كان من المستحيل ذكر الأمثلة في كل ناحية في هذه المقالة القصيرة، آثرت أن أذكر بعض ما تبادر إلى ذهني دون توسع للاختصار.

### سَمِّنْ كَلْبِكَ يَا كَلِّك:

الشعوب تموت جوعاً ومرضاً والحكام يقومون بالخianات والسرقات جهازاً نهاراً وبمشاريع فاشلة دعائية أو موجهة تكلف الدول المليارات، والمستفيد الوحيد منها هم القائمون بها حيث يستطيعون سرقة المليارات دون ما حسيب ولا رقيب. مثل المشاريع الكارثية في "مصر السيسي والعسكر" وأبرزها الفرع الجديد لقناة السويس الذي تكلف المليارات وبدون عائد فعلي؛ ومترو الأنفاق الذي أنشئ بقرض فرنسي بالمليارات ويحقق خسائر بالملايين، وإقامة مفاعل نووي لتوليد الطاقة بقرض من روسيا على مدار 25 سنة بينما شمس مصر الحارقة تشكو إلى الله من عدم استخدامها في توليد الطاقة الآمنة كما تفعل معظم دول العالم الشبيهة بمصر من حيث درجات الحرارة وفترات سطوع الشمس على مدار العام. ورغم استيلاء الجيش على معظم ميزانية الدولة ومقدراتها باسم مكافحة الإرهاب ودعم الشرعية في ليبيا واليمن وغيرهما؛ فهذا هو السيسي يمن على الشعب المصري: "هدفنا أن يأكل الناس لا أن يتعلموا". وكان الملعون اللا مبارك قد قال قبله: "هو احنا هنا كلكم ولا هنسدد لكم ديونكم" كأنه هو الذي كان يرزق الشعب المصري ويطعمه؛ ويسدد - أي يضاعف - ديونهم! ألا لعنة الله على الكافرين. ثم نجد الإعلام المأجور العميل يمجّد هذه المشاريع "الخالدة" ويسبح بحمد الطواغيت ويعني على كل من يشكك في جدتها أو فائدتها؛ أو يبرهن على عدم الحاجة إليها من الخبراء والمختصين. ناهيك عن صفقات الأسلحة لدول الخليج التي يذهب بها الأمراء وكبار المسؤولين عشرات المليارات سنوياً؛ وتستخدم تلك الأسلحة في ذبح شعوبهم ومحاربة المجاهدين.

### هذه الأفعى تبدى رأسها:

رغم أن عدد سكان الجزائر الآن 45 مليوناً فقط؛ وهي سادس أكبر دولة مصدرة للبترول على المستوى العالمي؛ إلا أنها لازالت تستورد مشتقات البترول بالمليارات سنوياً. ورغم أنها عاشر أكبر دولة في العالم من حيث المساحة وهي بلد زراعي بالأساس إلا أن هناك بطالة في القطاع الزراعي وتستورد المنتجات الزراعية من الخارج؛ ورغم ذلك فإن 75% من حالات الزواج تنتهي بالطلاق بسبب البطالة وغيرها من المشاكل الاجتماعية مثل الفقر وأزمة الإسكان وغيرهما؛ في الوقت الذي يستمتع فيه الجنرالات والرئيس وأعضاء الحكومة بعشرات المليارات التي ينهبونها، ورغم علم الشعب الجزائري بذلك واصطلاته بنيران الفقر والجهل والمرض والبطالة والتهميش؛ فلا يثور ولا ينتفض للدفاع عن حياته ومستقبل أجياله. وتستخدم الحكومة المتفرنسة العميلة فزاعة الانزلاق إلى ما حدث في التسعينيات من مذابح وأهوال لعامة الشعب لصرفه عن الانتفاض عليها، ويتناسى الشعب الجزائري بطولاته وأمجاده في قهر قوى الجبروت والطغيان والاحتلال؛ وقول الله عز وجل:

"وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ" فهل هناك إفساد أكثر مما يسببه المومياء الحاكمة والجنرالات المتفرنسين العملاء؟! وكان الشعب الجزائري يعمل بالمثل السوري القائل: "إذا ما خربت ما بتعمر"! وكان مقاتلو الصحراء الذين دوخوا القوات الفرنسية وأجبروها على الانسحاب ذليلة خاسئة اكتفوا بفريق كرة القدم ليحمل هذا الشعار!

### بين سعادة المتقين وسعادة الأشقياء الحائرين:

عَنْ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ مَسَحَ رَأْسَ يَتِيمٍ لَمْ يَمْسَحْهُ إِلَّا لِلَّهِ كَانَ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ مَرَّتْ عَلَيْهَا يَدُهُ حَسَنَاتٌ، وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَى يَتِيمَةٍ أَوْ يَتِيمٍ عِنْدَهُ كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ، وَقَرْنَ بَيْنَ أَصْبَعَيْهِ السَّبَابَةَ وَالْوُسْطَى". وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تُطْرِدُ عَنْهُ جُوعًا". وقال الشافعي رحمه الله: "ليس سرور يعدل صحة الإخوان ولا غم يعدل فراقهم"؛ وقيل السعادة في سجدة في جوف الليل أو تقبيل يد الوالد؛ فهذه سعادة المتقين أن يكرس الواحد منهم حياته كلها لله ولنفع نفسه وأهله والمسلمين!

أما السعادة عند الأشقياء التعساء على الحقيقة فهي في تعليم البنات الرقص والموسيقى والغناء؛ والسباحة ولعب كرة القدم والملاكمة ورفع الأثقال والكُكُّ بُكْس، أو في قيادتها للسيارة والانطلاق بها حيثما شاءت دون مرافق أو رقيب من الأهل. أو في الذهاب إلى السينما لمشاهدة أحدث الأفلام الأمريكية أو إلى قاعات عروض الأزياء في مدينة الرياض! أو في الحصول على جواز سفر بدون إذن الولي والسفر إلى أي دولة أو مدينة في العالم دون محرم. أو في ضياع العمر والوقت في الدخول إلى مواقع التواصل الاجتماعي.

وانظر إلى التلبيس والتدليس الذي وصلنا إليه فبدلاً من تربية الشباب على الاستقامة وحب الأعمال الصالحة والعبادة لم يجد عتاة المجرمين إلا افتتاح أول حانة في غزة (أحمد ياسين والرنتيسي وجميع الشهداء الأبرار) تسمح بالاختلاط بين الشباب والشابات للتخفيف من معاناتهم نتيجة البطالة كما يزعمون؛ أي إدخال السرور والسعادة عليهم! لبئس ما أوحى لهم به الشياطين.

### ليس الشَّجِي كَالْحَلِيِّ:

قيل في الأمثال الشعبية (اللي ايده في المية ليست كمن يده في النار). فالذين لم يكتفوا بنيران اليهود والصليبيين والبوذيين أو أذنانهم ممن يحكموننا أو يعيشون كمستأمنين في بلاد المسلمين، ولم تنتهك أعراض بناتهم ونسائهم، وتستباح دماؤهم وأموالهم على أيدي جلاوزة الطواغيت! ولم يُعَيَّب أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْهِمْ لِسِنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ فِي السَّجُونِ ظَلَمًا وَعَدْوَانًا يَسَامُونَ أَشَدَّ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ؛ هؤُلاءِ يَتَشَدَّقُونَ بِالِدَعْوَةِ لِلدِّمْقْرَاطِيَّةِ وَالتَّعَايِشِ السَّلْمِيِّ بَيْنَ الطَّوَائِفِ وَالمَذَاهِبِ وَالكِيَانَاتِ وَالدِّيَانَاتِ وَالسِّيَاسَاتِ! ويدعمون حكوماتهم المجرمة في دعواها "محرابة الإرهاب" الذي جعلوه قضيتهم الأولى وشغلهم الشاغل! وإذا وُجِّهوا بهذه الحقائق الدامغة تعلقوا بالاستضعاف وهذه الآية حجة عليهم: "إِنَّ الدِّينَ تَوَفَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) فَإِنَّ هَذَا

يَدُلُّ عَلَى وُجُوبِ الْهَجْرَةِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ مُضْطَّهِدٍ. وَقَدْ اسْتَنْبَطَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ وُجُوبَ الْهَجْرَةِ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي يُعْمَلُ فِيهَا بِالْمَعْصِيَةِ؛ وَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ إِنكَارَهَا وَمَنْعَهَا.

### ابن سلمان يسعى لحتفه ودمار مملكة آل سعود:

عندما ارتقى محمد بن سلمان ليكون ولي عهد السعودية كانت تحوم حوله الشبهات لخلفيته وتربيته المتأمركة! وكنا نظن أنه سوف يتأني في سياسته الشيطانية لتدمير القيم والمبادئ والأخلاقيات في المجتمع السعودي، ولكنه فاجأ الجميع بأنه لم يصبر حتى يموت أبيه ويتولى الحكم؛ بل جعل أباه الملك السعودي كالفروني الذي بهرته أضواء المدينة! يظهر فقط في المناسبات الرسمية وتلتقط له الصور مع الوفود الأجنبية والزوار الكبار؛ أما كل القرارات والأوامر الداخلية والمتعلقة بالسياسة الخارجية فهي تصدر من ابن سلمان. وهو في سباق مع الزمن لتغيير المجتمع السعودي وواقع الأمة الإسلامية قبل حلول موعد "رؤية 2030" التي أعدها كمصاصة يقذف بها في فم كل من شكك في سياساته أو اعترض على قراراته وإفساداته؛ فكان أول الغيث النجس قطر من السماح للمرأة بقيادة السيارة ثم انهمر متمثلاً في القرارات شبه اليومية التي تنحصر في تدمير القيم والأخلاقيات وتصفية كل سلطة لأولياء الأمور على نسائهم وبناتهم والنظام الأسري القائم على أساس الدين والتقاليد الشرقية. مع توسعة الجبهات القتالية ضد المجاهدين والمسلمين في اليمن والشام والصومال وغيرها. ولكنه نسي أن هذه أرض النبوة وأبطال المسلمين من الصحابة والتابعين الذين لن يسمح أحفادهم له بإذن الله إتمام مهمته الشيطانية! وسنراه إن شاء الله مصلوباً في أكبر ميادين الرياض قبل حلول 2030 وتحت لوحة مكتوب عليها: هذا (جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا). هذا إذا لم يخسف الله به الأرض أو يصيبه بدهية من عنده أو بأيدي الصالحين؛ وما ذلك على الله بعزيز ولا على شعب السعودية المسلم الغيور بعسير أو بعيد المنال.

### الشيطانة تعظ:

بعد أن انتهى الغرب الصليبي ومنظمة الأمم المتحدة من صياغة النظام العالمي الجديد على أساس توحيد الدساتير والقوانين للغالبية العظمى من دول العالم لتواكب الحضارة الغربية والنظم الدولية المنسلخة من الدين؛ تسارعت الخطوات العملية لتنفيذ تلك القواعد وأعطوا لحكام المسلمين الفرصة لتقرير الأولويات واتباع سياسة خطوة بخطوة بحسب ظروف دولهم الداخلية ونظامها الاجتماعي. وقد قطعوا الشوط الأهم في تدمير كل أسس وقواعد الدين كدستور حياة ونظام شامل يغطي كل الجوانب السياسية والعسكرية والاقتصادية والتعليمية والأسرية؛ ثم ها هم يتفرغون للفروع حتى أن الأمم المتحدة تشن حملة دعائية عالمية لمنع ما يدعون أنه جريمة "الخفافض" أو الختان للنساء المسلمات؛ حتى إنهم خصصوا يوم 6 فبراير من كل عام باسم "اليوم العالمي لرفض تشويه الأعضاء التناسلية للإناث (ختان الإناث)" وهو كما يقولون يوم توعية عالمي ترعاه [اليونيسف](#). وكذلك تم تشديد القوانين العقابية على تزويج القاصرات أقل من الثمانية عشر عاماً؛ وغير ذلك من القرارات التي تفسد أخلاقيات النساء وتدفعهن لارتكاب الفاحشة بعد الانفلات من قوامة الرجال وأولياء أمورهن بحجة المساواة بين الجنسين.

وقد استخدم شياطين الإنس من صناع تلك السياسات أبواقا عربية متمسلمة للترويج لما يريدونه تفاديا للحساسية التي يستقبل بها المسلمون كل ما يصدر من منظمات أو أفراد يخالفونهم في الدين؛ فصرنا نسمع من الفتاوى المضحكات المبكيات السيل الجارف. ففيما يتعلق بمسألة النقاب والحجاب والادعاء بعدم ارتباطهما بالدين الإسلامي كما يزعمون؛ تقول الدكتورة المتصهينة آمنة نصير "أستاذ العقيدة والفلسفة" في جامعة الأزهر بمصر: "الحجاب والنقاب عادة يهودية وجاهلية؛ والمطلوب هو لبس الزي المحتشم المناسب للدولة الموجودة فيها المرأة ويجب عدم التناطح! وتضيف -عليها من الله ما تستحقه-: "إذا كان الحجاب (وهي تكره تسميته حجابا وإنما هو اللباس المحتشم) فرضا على المسلمة فلماذا يقول الله عز وجل: "قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ"؟!".

أما الشيخ المطلق "عضو هيئة كبار العلماء" في السعودية فيقول: "العباءة ليست من الإسلام". وأما في المغرب فقد جاء إصدار قرار بمنع استيراد أو بيع أو إنتاج أو ارتداء البرقع على أساس خطورتها من الناحية الأمنية وأنها دخيل على المجتمع المغربي؛ لينسجم الجميع أفراد وهيئات وحكومات مع حملة التغريب والعهر.

### المسلمون يموتون من الجوع ولحم الضأن يرمى للكلاب:

في الوقت الذي يموت فيه عشرات الملايين من المسلمين في الدول العربية والإفريقية الفقيرة من النقص الحاد في التغذية؛ ومن ثم فقر الدم وعدم مقاومة الأمراض القاتلة نجد أن الإحصاءات تشير إلى أنه في السعودية وحدها يتم إهدار طعام تبلغ قيمته سنويا 50 مليار ريال أي حوالي 13 مليار دولار تلقى في صناديق وتلال القمامة؛ أفبعد ذلك يتساءلون عن السبب وراء الحقد والحسد الذي يشعر به المسلمون ناحيتهم؟! قد يظن البعض أن الشعب السعودي الذي يباع باسمه أكثر من عشرة ملايين برميل من البترول يوميا يعيش في رغد من العيش والنعيم ولكن هيئات هيئات؛ فإن أفراد العائلة المالكة والأمراء وحاشيتهم ومن يدور في فلكتهم لم يتركوا لبقية الشعب إلا الفتات؛ حتى أن أكثر من 40% من أفراد الشعب يعيشون تحت خط الفقر، وتفتقد الغالبية العظمى من السكان للبيوت المملوكة ويضطرون للسكنى بالإيجار أو في بيوت الصفيح والعشوائيات التي تمتلئ بها مدن السعودية؛ وحسبنا الله ونعم الوكيل.

### إن فاتتك فلا تبكي عليها:

من أسوأ صور الاستعباد التي تفتق عنها ذهن شياطين الإنس هي أسر الناس رهائن للوظائف الحكومية والرسمية في وزارات ومؤسسات الدولة، وكذلك الانخراط في صفوف الجيوش النظامية وأجهزة الأمن بأفرعها المختلفة بمئات الآلاف أو الملايين في كل دولة على حدة يتقاضون راتبا لا يسمن ولا يغني من جوع، في مقابل السكوت عن جرائم النظام ونهب ثروات البلد والعمالة الصريحة للغرب الصليبي منه والملحد؛ والدفاع عن الطاغوت الحاكم وحماية مصالح الدول الاستكبارية في الدولة! هؤلاء الموظفون أو العمال أو الجنود الرسميون في الدولة لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، وإلا فقد القائم بذلك وظيفته وتشرد هو وأفراد أسرته وأهل بيته، إن لم يكن السجن هو المستقر!

يقول عبد الرحمن الكواكبي في "طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد": "ومن الأمور المقررة طبيعةً وتاريخاً أنه؛ ما من حكومة عادلة تأمن المسؤولية والمؤاخذة بسبب غفلة الأمة أو التمكن من إغفالها إلا وتسارع إلى التلبس بصفة الاستبداد، وبعد أن

تتمكّن فيه لا تتركه وفي خدمتها إحدى الوسيلتين العظيمتين: جهالة الأمة، والجنود المنظّمة. وهما أكبر مصائب الأمم وأهمّ معائب الإنسانية، وقد تخلّصت الأمم المتمدّنة - نوعاً ما - من الجهالة، ولكن؛ بُليت بشدة الجندية الجبرية العمومية؛ تلك الشدّة التي جعلتها أشقى حياة من الأمم الجاهلة، وألصق عاراً بالإنسانية من أقبح أشكال الاستبداد، حتّى ربّما يصحّ أن يقال: إنّ مخترع هذه الجندية إذا كان هو الشيطان؛ فقد انتقم من آدم في أولاده أعظم ما يمكنه أن ينتقم! نعم؛ إذا ما دامت هذه الجندية تنهك تجلّد الأمم، وتجعلها تسقط دفعة واحدة. وأمّا الجندية فتفسد أخلاق الأمة؛ حيث تُعلّمها الشراسة والطاعة العمياء والاتكال، وتُثميت النشاط وفكرة الاستقلال، وتُكلّف الأمة الإنفاق الذي لا يطاق؛ وكلّ ذلك منصرف لتأييد الاستبداد المشؤوم: استبداد الحكومات القائدة لتلك القوّة من جهة، واستبداد الأمم بعضها على بعض من جهة أخرى" اهـ.

### الأمثال الشعبية الضالة أفيون الشعوب:

بعد الثورات التحرّرية الصّورية التي اجتاحت دول ما يسمى بـ"العالم الثالث" في أفريقيا وآسيا -ومعظمها إسلامية للأسف الشديد- خلال العقدين الخامس والسادس من القرن العشرين سيطر العسكر "الفاثون" على الحكم، وربونا على الخنوع والذلة، وإلا فالسيف والجلاد منتظران، والسجون والمعتقلات حصينة الجدران، والتهمتان جاهزتان: إمّا العمالة، وإمّا محاولة قلب نظام الحكم! وكانت الأمثال الشعبية المسيسة من أمضى الأسلحة لتذليل الشعوب ومسح عقول أفرادها ليقبلوا بالمهانة والاستكانة!

فعلى سبيل المثال كنا نسمع ونُحْنُ صِغارُ النَّاسِ من حولنا يرددون بتلقائية وعفوية: "يا أخي هو أنت اللي هاتصلح الكون. بلد بتعبد العجل حشّ ورامي له"، "وإذا دخلت قرية فاحلف بإلهها"؛ و"اسجد لقرود السوء في زمانه"؛ تعالى الله عمّا يقولون؛ وحاشا لله أن نكون ممن يؤمنون أو يعتقدون أو حتى يرددون هذه الشريكيات.

فلو راجعنا الكثير من الأمثال الشعبية نجد أنّها تعبّد النَّاسَ للسلطان من دون الله، وتعزّهم تماماً عن المشاركة في سياسة الدول والشعوب، وتُحصِرُ مهمة المسلمين في أداء العبادات وتربية أبنائهم، والرضا بالمكتوب، والاستسلام للمقادير وغيرها من الأفكار والمعتقدات الهدامة.

فلا بد من التخلص من آثار هذه الأمثال الرجعية والشركية في واقع حياتنا، وشحن القلوب بالعبودية الحقّة لله دون من سواه، والإيمان حقيقة بأنّ الرزق والأجل بيد الله سبحانه وتعالى، ولن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها.

### الجماعات الانبطاحية والثبات حتى الممات:

هناك من الجماعات التي تؤمن بالانبطاح التام للحكومات وتتبع أسلوباً سياسياً سلمياً بحتاً مدعية أنه هو الطريق الوحيد لتغيير واقع المسلمين وإعادة التمكين لهم، فإذا تبدل حال الحكومات الطاغية المتجبرة وأحست بشيء من الضعف وجاءتهم الأوامر من الغرب الصليبي بضرورة إعطاء هامش من الحرية والمشاركة السياسية لتلك الجماعات كبديل للإسلام "الأصولي"

الجهادي، ازدادت تلك الجماعات انبساطاً وتعلقت بالكراسي إلى الرّمق الأخير، حتى إنهم إن وصلوا إلى الكرسي أو الوزارة يسلكون نفس طريق سلفهم من الطغاة الجرمين، ثم لا يلبث أن يطردوا من مقاعدهم ووزاراتهم ومع ذلك فإنهم لا يثوبون إلى رشدهم أو يعترفوا بخطئهم أمام أتباعهم وبعدلوا طريقتهم، بل يصرون على أفكارهم ومعتقداتهم -وكأنها منزلة من السماء-!! والعيب ليس في قيادات تلك الجماعات والتنظيمات بقدر ما هو في آحادها وأتباعها الذين يسيرون وراء كل ناعق، ويلغون عقولهم وهم يرون من سلوك قادتهم وزعمائهم العجب العجاب مما يناقض أحكام الشريعة صراحة، وقد يدخل في أبواب النفاق أو العمالة أحياناً والأمثلة كثيرة جداً.

### أَكَلْنَا يَوْمَ أَكَلِ الثَّورِ:

منذ زمن طويل دخلت الأمة الإسلامية مرحلة القصة؛ وتسلط علينا أعداء الدين من كل حذب وصوب! فصرنا لا ندري على من نبكي، ولا من نعزي! ولقد بلغ بنا الهوان أن أصبح المسلم أرخص ثمننا وأسهل قتلاً وأقل دية من عباد البقر وبودا وأتباع كل الملل والديانات!

المهم أننا لم نعد نتحرك للدفاع عن إخواننا ولا حتى عن أنفسنا وأهلينا، ومنتظر حتى يدهمنا العدو في عقر دارنا ولا نملك وقتها إلا الصراخ والعيول والاستنجد، بالأمم المتحدة والشرعية الدولية ومنظمة المؤتمر الإسلامي وجامعة الدول العربية، ولكن لا حياة لمن تنادي!

وبعد كل مصيبة تصيب الأمة أو أحد شعوبها يسارع العلماء المأجورون للقتل وإلقاء الخطب المبكية الحزينة؛ ثم نكتفي بذلك ونعود لممارسة أنشطتنا وحياتنا المعتادة بشكل طبيعي وكأن شيئاً لم يحدث!!

ولقد فضح الله السياسيين العملاء ممن يتمسحون بالإسلام والأحزاب التي ركبت على أكتاف الثائرين الحقيقيين في دول ما يسمى بالربيع العربي، من خلال مواقفهم وتصريحاتهم المخزية بنيد العنف ودعوة المسلمين لضبط النفس والتظاهر السلمى لإظهار غضبتهم.

### حولوه إلى أسود وأبيض:

لقد كان لحسن الخلق في المجتمعات الإسلامية القدم المعلى! لم لا وقد جمع الله سبحانه وتعالى صفات رسوله الحميدة في قوله تعالى: "وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ"، وقال صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

وظل المسلمون ينحدرون دينياً ودينيا وظلت الأخلاق تنحدر معهم بعد أن أصبحت الدنيا همهم، وإشباع الرغبات والشهوات هي ديدنهم - إلا من رحم الله- ولذا نرى هذا الانحدار الرهيب في الأخلاق وفي السلوك دون ما إحساس بالخلج أو الحياء أو الاعتذار بعد بدور هذه السقطة أو تلك، والأدهى منه وأمر هو أن المجتمع قد ألف تلك الأخلاق السيئة، فلا تسمع من ينكر على القائم بها، ولو أنكر عليه فعلى استحياءه وبكلمات عابرات لا يلبث أثرها أن ينمحي ويعود الجميع لممارسة حياتهم وكأن شيئاً لم يحدث.

فالكذب من أكبر الكبائر، ونفى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكون المؤمن كذاباً، وعدَّ الكذب من علامات التَّفَاقِ. روى مالكٌ عن صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ، أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَقِيلَ لَهُ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ بَجِيلًا؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَقِيلَ لَهُ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَّابًا؟ فَقَالَ: لَا". ومع ذلك فقد أصبح الكذب مثل العِلْكَةِ، في أفواه معظم الناس، حتى إنهم قسموه إلى كذب أبيض وآخر أسود، وشاع أن نفي السياسيين وكبار المسئولين للشيء هو الإثبات، فإذا قال إنَّه لم يفعل كذا فقد فعله، وإن قال إنه لن يفعله فسوف يفعله! وقد قال العلماء إنَّه: "يجب على المتولي أو المسئول ألا يعدُّ عدَّةً لا يثق من نفسه بالقدرة على إنجازها"، وكذلك "عليه ألا يكذب لأنَّه لا يُكْرِهُهُ أَحَدٌ على الكذب". وقس على ذلك في المصالح الحكومية والمعاملات التجارية والعلاقات الأسرية والشخصية!

### الأسر للعادة والتقاليد:

لقد كان السبب في عناد الأمم السابقة واستمرارهم على الكفر وعدم الاستجابة لدعوة الأنبياء صلوات الله عليهم لهم بالإيمان بالله وحده، كان السبب هو تمسكهم بسيرة الآباء الغابرين كما حكى لنا سبحانه وتعالى قولهم: "إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ"، وقولهم: "مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ"، وقولهم: "مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ".

وهذا إن كان مألوفاً ومعتاداً في زمن الجاهلية الأولى فإنه غير مقبول ولا معقول في القرن الحادي والعشرين، فالأفكار والتقاليد التي تنافي النقل والعقل يجب أن تنتهي من حياتنا، وأكثر المصائب تأتي من تأثير تلك الأفكار والمعتقدات في علاقاتنا الأسرية والعائلية، وفي العلاقة مع الجيران، والمجتمع ككل، وما تسببه من شحن للقلوب بحب الدولة من دون الأمة، والقبيلة من دون الدولة، وترسخ معاني العصبية الجاهلية سواء ضد المسلمين من غير الحي أو العائلة أو القبيلة، وتؤدي لحدوث كثير من الأزمات الاجتماعية التي نعيشها بسبب التقاليد سواء في موضوعات مثل الزواج -على وجه الخصوص-، ونظام الأسرة، وطريقة تربية الأبناء .... إلخ، وفي هذا يقول أحمد شوقي رحمه الله:

لا يمنعكمو برُّ الأبوة أن يكون صنعكمو غير الذي صنعوا

يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله: "هذه العادات والتقاليد التي تكلف الناس العنت الشديد في حياتهم، ثم لا يجدون لأنفسهم منها مفراً.. هذه الأزياء والمراسم التي تفرض نفسها على الناس فرضاً، وتكلفهم أحياناً ما لا يطيقون من النفقة، وتأكل حياتهم واهتماماتهم، ثم تفسد أخلاقهم وحياتهم. ومع ذلك لا يملكون إلا الخضوع لها.. أزياء الصباح، وأزياء بعد الظهر، وأزياء المساء.. الأزياء القصيرة، والأزياء الضيقة، والأزياء المضحكة! وأنواع الزينة والتجميل والتصفيف ... إلى آخر هذا الاسترقاق المذل.. من الذي يصنعه ومن الذي يقف وراءه؟

تقف وراءه بيوت الأزياء. وتقف وراءه شركات الإنتاج! ويقف وراءه المرابون في بيوت المال والبنوك من الذين يعطون أموالهم للصناعات ليأخذوا هم حصيلة كدها! ويقف وراءه اليهود الذين يعملون لتدمير البشرية كلها ليحكموها! .. ولكنهم لا



يقفون بالسلاح الظاهر والجند المكشوف، إنما يقفون بالتصورات والقيم التي ينشئونها، ويوصلونها بنظريات وثقافات ويطلقونها  
تضغط على الناس في صورة (عرف اجتماعي) "اه..

### تقديم المفصول على الفاضل:

من نعم الله على العبد أن يوفقه لترتيب الأولويات والأمور حسب أجرها وثوابها وفائدة المسلمين منها. فأصحاب الأموال  
مثلاً يحصرون إنفاقهم على أبواب الخير التي تحددها لهم المؤسسات الخيرية الرسمية مثل بناء المساجد وحفر الآبار وكفالة  
الأيتام وتوزيع المواد الغذائية والأضاحي .. إلخ. ولو فكر هذا المتبرع قليلاً لوجد أن هناك من أبواب الخير أعظم وأهم  
للمسلمين من بناء مسجد في منطقة أو حي لا يشهد الصلاة فيه إلا عدد قليل من المصلين وهناك العديد من المساجد  
القريبة التي تشكو إلى الله قلة عمارها، واكتفى بالعمل بقوله صلى الله عليه وسلم: "ما من عبد مسلم توضع فأسبغ الوضوء ثم  
صلى لله في كل يوم ثني عشرة ركعة تطوعاً غير فريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة"، وبالمال الذي كان سينفقه لبناء المسجد  
دعم به جبهة جهادية لفترة فيكف بها الله بأس الذين كفروا، ويحيى بها الله أنفسا كان من الممكن أن تزهق على أيدي الكفرة  
والمشركين، فيكون كمن أحيا الناس جميعاً! أو يقيم داراً يزوج فيها الشباب الذين لا يجدون سكناً ليعفوا فيه أنفسهم  
وأهليهم، ويشارك في عصمة المجتمع من المصائب الناتجة عن انتشار ظاهرة العنوسة فيه. أو يقيم ورشة أو مصنعا لتشغيل  
الشباب العاطلين فتفتح بيوت وتعف أسر عن المسألة، فيقل الفساد الناتج عن البطالة، وله بكل لقمة يأكلونها وشربة  
يشربونها ونومة ينامونها صدقة وأجر .... إلى غير ذلك من أبواب الخير التي يعود نفعها على المسلمين عامة. والذي يذهب  
ليستثمر أمواله في بلاد الكفر ويضع أمواله في بنوكهم الربوية فيدعم اقتصادهم ويقوي شوكتهم ليحتلوا بلاد المسلمين  
ويفسدوا في الأرض، لو استثمر أمواله في البلاد العربية الفقيرة أو الإسلامية التي يقل فيها الفساد الإداري وفيها أمان  
للمستثمرين وأموالهم فله أجر العمالة المسلمة التي ستستغني عن المسألة، والبيوت التي ستعمر من وراء العمل في مصنعه أو  
متجره، وحتى لو تعرضت تجارته - بقدر من الله - لشيء من الخسارة أو قلة في الربح فهي لم تذهب للكفار والمشركين ولا  
سدى؛ فقد ذهبت لمسلمين وله بها أجر يوم القيامة؛ وقس على ذلك..

### التعليم في الصغر وتمتين الأساس:

يقول على بن أبي طالب رضي الله عنه في ما ينسب له من الشعر:

حَرَّضُ بَنِيكَ عَلَى الْآدَابِ فِي الصِّبِّ ... مَعْرِ كَيْمًا تَقَرُّ بِهَمِّ عَيْنَاكَ فِي الْكِبَرِ

وإنما مثل الآداب تجمعها ... في عنفوان الصبِّ كالنقش في الحجر

هي الكنوز التي تنمو ذخائرها ... ولا يخاف عليها حادث الغير

وقال غيره: قد يبلغ الأدب الأطفال في صغرهم ... وليس ينفعهم من بعده أدب

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ... ولا يلين إذا قومتها الحشب

وهنا ننقل الخبر الذي تناقلته الإذاعات قبل فترة عن إنشاء ملهى ليلى للأطفال من سن 12-18 سنة في لبنان يرقصون على مسرح معد لذلك ويشربون العصائر وغيرها في كؤوس كما لو كانوا يشربون الخمر؛ والمهم هو عدم وجود الأهل معهم في الملهى! فإذا أضيف إلى ذلك إدمان الأطفال من الذكور والإناث لمشاهدة أفلام الكرتون والقنوات الفضائية، وحملهم للهواتف المحمولة بحرية مطلقة، ومن ثم دخولهم مواقع الإنترنت بدون حسيب ولا رقيب.

فمن الطبيعي أن نشكو من سوء أخلاقهم وضعف صحتهم وتحصيلهم العلمي، والعنف الشديد الذي يتعاملون به مع بعضهم، وإصابتهم بالأمراض النفسية والجسدية، وإدمان بعضهم للمخدرات؛ وأحياناً ينتهي بهم الأمر إما في السجن أو المستشفى أو القبر. فهذا الذي أسعفتني به الذاكرة، وللحديث بقية وشجون، والحمد لله على كل حال.

